سورة النحل

٢٥٦ ـ قوله فيها فى موضعين: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾[١] [١٢] و[٧٩] بالجمع، وفى خمس[٢] مواضع: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ على الوحدة، أما الجمع فلموافقة قوله: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ فى الآيتين؛ لتقع الموافقة فى اللفظ والمعنى، وأما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه.

ومن الخمس قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٣]، وليس له نظير، وخص الذكر لاتصاله بقوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾[١٣]؛ فإن اختلاف ألوان الشىء، وتغير أحواله يدل على صانع حكيم فما يشبهه شىء، فمن تأمل فيها تذكر.

ومن الخمس: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١١] و[٦٩] فى موضعين، وليس لهما نظير، وخصتا بالتفكر؛ لأن الأولى متصلة بقوله: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[١١]، وأكثرها للأكل، وبه قوام البدن، فيستدعى تفكرًا وتأملاً؛ ليعرف به المنعم عليه فيشكر، والثانية متصلة بذكر النحل، وفيها أعجوبة من انقيادها لأميرها، واتخاذها البيوت على أشكال يعجز عنها الحاذق، ثم تتبعها الزهر والطل من الأشجار، ثم خروج ذلك من بطونها لعابًا هو شفاء[٣]؛ فاقتضى ذلك ذكرًا بليغًا، فختم الآية بالتفكير.

٢٥٧ ـ قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا﴾[١٤] ما فى هذه السورة جاء [على][٤] القياس؛ فإن (الفلك) المفعول الأول لترى، و(مواخر) المفعول

---

(١) فتح الرحمن ص ٢١٧ مسألة (٢)، والنووى (ص ٢٦٦) مسألة رقم (٢٢٥).
(٢) القواعد تقتضى تأنيث العدد لإضافته إلى معدوده المذكر فيقال: خمسة مواضع.
(٣) بالأصل: (هو لها شفاء).
(٤) زيادة [على] للإصلاح.

الثانى، وفيه ظرف، وحقه (التأخير)[1]، والواو فى ﴿ولتبتغوا﴾ للعطف على لام العلة فى قوله: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ﴾[١٤]، وأما فى «الملائكة» فقدم ﴿فيه﴾[١٢]؛ موافقة لما قبله، وهو قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[١٢] فوافق تقديم الجار والمجرور [فيه] على مواخر، ولم يزد الواو على ﴿لتبتغوا﴾؛ لأن اللام فى ﴿لتبتغوا﴾ هنا لام العلة، وليس بعطف على شىء قبله، ثم إن قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ فى هذه السورة، و ﴿فيه مواخر﴾ فى «فاطر» اعتراض فى السورتين يجرى مجرى المثل؛ ولهذا وحد الخطاب فيه، وهو قوله: ﴿وترى﴾، وقبله وبعده جمع، وهو قوله: ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ ـ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا﴾ ـ ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ [١٤]، وفى «الملائكة»: ﴿تَأْكُلُونَ﴾ ـ ﴿تَسْتَخْرِجُونَ﴾[١٢]، ومثله فى القرآن كثير: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾[الحديد: ٢٠]، وكذلك ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[2] [الزمر: ٧٥]، وأمثاله، أى لو حضرت أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة، كما تقول: أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، فتأمل ؛ فإن فيه دقيقة.

٢٥٨ ـ قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ[3] رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4] [٢٤]، وبعده: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[٣٠]، إنما رفع الأول؛ لأنهم أنكروا إنزال القرآن، فعدلوا عن الجواب فقالوا: ﴿أساطير الأولين﴾، والثانى من كلام المتقين، وهم مقرون بالوحى والإنزال، فقالوا: [خيرا] أى: أنزل خيرًا؛ فيكون الجواب مطابقًا.

و﴿خيرًا﴾ نصب بأنزل، وإن شئت جعلت ﴿خيرًا﴾ مفعول القول، أى قالوا خيرا، ولم يقولوا شرا كما قالت الكفار، وإن شئت جعلت ﴿خيرًا﴾ صفة مصدر محذوف، أى قالوا قولاً خيرًا، وقد ذكرت مثله ما زاد فى موضعها.

---

(١) بالأصل : (التأخر).

راجع أبا السعود فى تفسيره (٣/ ١٦٧)، وانظر فتح الرحمن (ص ٢١٧) مسألة (٣)، وفتاوى النووى (ص ٢٦٦) مسألة رقم (٢٢٦).

(٢) راجع مختصر ابن كثير (٣/ ٢٣٢) بتصرف.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) راجع أبا حيان فى البحر المحيط (٥/ ٤٨٤).

٢٥٩ ـ قوله: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1][٢٩]، ليس له فى القرآن الكريم نظير. الفاء للعطف على فاء التعقيب فى قوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾[٢٩]، واللام للتأكيد، يجرى مجرى القسم موافقة لقوله: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[2][٣٠]، وليس له نظير، وبينهما: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾[3][٣٠].

٢٦٠ ـ قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾[٣٤] هنا، وفى [الجاثية:٣٣]، وفى غيرهما: ﴿مَا كَسَبُوا﴾[3] [الزمر:٥١]؛ لأن العمل أعم من الكسب؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4] [الزلزلة:٧، ٨]، وخصت هذه السورة «بالعمل[5]»؛ لموافقة ماقبله، وهو قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6][٢٨]؛ ولموافقة ما بعده، وهو قوله: «وتوفى كل نفس ما عملت»[١١١]، وفى [الزمر:٧٠]، وليس لها نظير.

٢٦١ ـ قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾[٣٥] قد سبق.

٢٦٢ ـ قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [٤٩] قد سبق.

٢٦٣ ـ قوله: ﴿ولله يسجد من فى السموات﴾ قد سبق أيضًا.

٢٦٤ ـ قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[7][٥٥]، ومثله فى [الروم[8]:٣٤]، وفى «العنكبوت»:[9] ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٦٦]

---

(١) راجع ما قاله القرطبى فى جامعه (١٠/ ٣٦).

(٢) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ـ(٢٠/ ٢٦)، والطبرى (١٤/ ١١٦).

(٣) مختصر ابن كثير (٣/ ٢٢٤)، وتفسير أبى السعود (٤/ ٣١١).

(٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (٣١/ ٦١)، والقرطبى (٢٠/ ١٥)، وتفسير الخازن (٤/ ٢٨٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (٤/ ٢١٣)، وانظر الفتح (ص ٢١٩) مسألة (٨)، والنووى (ص ٢٦٧) مسألة رقم (٢٢٧).

(٥) زيادة للتوضيح لازمة.

(٦) فى المطبوعة (تعلمون) وهو تحريف خطير من الطابع.

(٧) تفسير القرطبى (١٠/ ١١٥)، والطبرى (١٤/ ١١٩)، وفتح الرحمن (ص ٢٢٠) مسألة رقم (١١).

(٨) الطبرى (٢١/ ٢٨)، والقرطبى (١٤/ ٣٣)، والبحر المحيط لأبى حيان (٧/ ١٧٣)، ومختصر ابن كثير (٣/ ٥٥) بتصرف.

(٩) فى أكثر النسخ والأصل: (وتمتعوا) وهو تحريف من الطابعين والناسخين.

باللام والياء، أما التاء فى السورتين فبإضمار القول، أى قل لهم: تمتعوا كما فى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وكذلك: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾[(١)] [الزمر: ٨]؛ وخصت هذه بالخطاب لقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنكُم﴾[(٢)][٥٤] وألحق ما فى الروم به[(٣)].

وأما فى «العنكبوت»؛ فعلى القياس، عطف على اللام قبله، وهى للغائب.

٢٦٥ ـ قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾[(٤)][٦١]، وفى «الملائكة»: ﴿بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾[٤٥]، الهاء فى هذه السورة كناية عن الأرض، تقول: فلان أفضل من عليها، ومنها السماء، تقول: فلان أكرم من تحتها، ومنها: الغداة، تقول: إنها اليوم لباردة، ومنها الأصابع، تقول: والذى شقهن خمسًا من واحدة، يعنى الأصابع من اليد؛ وإنما جوزوا ذلك لحصولها بين يدى كل متكلم وسامع.

ولما كان كناية عن غير مذكور لم يزد معه الظهر؛ لئلا يلتبس بالدابة؛ لأن الظهر أكثر ما يستعمل فى الدابة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»[(٥)].

وأما فى «الملائكة» فقد تقدم ذكر الأرض فى قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾[٤٤] ، وبعدها: ﴿وَلا فِي الأَرْضِ﴾[٤٤]، فكان كناية عن مذكور سابق، فذكر الظهر حيث لا يلتبس.

---

(١) وردت فى المطبوعة (٣٠: ٨)، والصحيح (٣٩/ ٨)، وحاشية زاده على البيضاوى (٣/ ١٩٣)، والتفسير الكبير (٢٦/ ٢٤٨).

(٢) راجع تفسير القرطبى (١٠/ ١١٥).

(٣) فى «الروم»: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٣٣] وألحق بالخطاب، راجع فتح الرحمن (ص ٢٢٠) مسألة رقم (١١)، والنووى (ص ٢٦٧) مسألة رقم (٢٢٩).

(٤) الفتح (ص ٢٢١) مسألة (١٢).

(٥) المقاصد الحسنة للسخاوى (ص ٦١٤)، وفيه عن البزار والحاكم فى علومه، والبيهقى فى سننه، وكذا أبو نعيم، والقضاعى والعسكرى، والخطابى وغيرهم.
مسند القطاعى (٢٠٣)، وكشف الخفاء للعجلونى (٢/ ٢١٧)، والتمييز (١٥٢)، والزهد لابن المبارك برقم (١٠٧٨).

قال الخطيب: لما قال فى «النحل»: ﴿بِظُلْمِهِم﴾[1][٦١] لم يقل ﴿على ظهرها﴾؛ احترازًا من الجمع بين الظاءين؛ لأنها تقلّ فى الكلام[2]؛ وليست لأمة من الأمم سوى العرب.

قال: ولم يجئ فى هذه السورة إلا فى سبعة أحرف، نحو الظلم، والنظر، والظل، وظل وجهه، والظهر، والعظم، والوعظ، ولم يجمع بينهما فى جملتين معقودتين عقدكلام واحد وهو: لو وجوابه.

٢٦٦ [3] ـ قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٦٥]، وفى «العنكبوت»: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾[٦٣]، وكذلك حذف [من] من قوله: [لكيلا يعلم بعد علم شيئًا][4][٧٠]، وفى «الحج»: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[٥]؛ لأنه أجمل الكلام فى هذه السورة، وفصل فى «الحج» فقال: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ [٥]؛ فاقتضى الإجمال المحذوف، والتفصيل الإثبات؛ فجاء فى كل سورة بما اقتضاه الحال.

٢٦٧ ـ قوله: ﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[5][٦٦]، وفى «المؤمنين» ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [٢١]؛ لأن الضمير فى هذه السورة يعود إلى البعض وهو الإناث؛ لأن اللبن لا يكون للكل، فصار تقدير الآية: وإن لكم فى بعض الأنعام، بخلاف ما فى «المؤمنين»؛ فإنه عطف عليه ما يعود على الكل، ولا يقتصر على البعض، وهو قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا﴾ [٢١, ٢٢]، ثم يحتمل أن يكون المراد البعض؛ فأنث حملاً على الأنعام،

---

(١) تفسيرى القرطبى (١٠/ ١١٦)، والطبرى (١٤/ ٨٦)، والفتح (ص ٢٢١) مسألة (١٢)، وفتاوى النووى (ص ٢٦٨) مسألة رقم (٢٣٠).

(٢) هذا إن لم تكن غير واردة تماماً.

(٣) أخطأت النسخة المطبوعة فى الترقيم المسلسل.

(٤) راجع مختصر ابن كثير (٢/ ٣٣٦)، والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٠/ ٧٢)، وفتح الرحمن (ص ٢٢١) مسألة رقم (١٣).

(٥) راجع ما قاله الإمام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير (٢٠/ ٧٢)، وهو من أروع الأقوال، وكذا شيخ المفسرين الطبرى فى التفسير (١٤/ ٩١)، ثم انظر القرطبى (١٠/ ١٢٤)، ومجاز القرآن لأبى عبيدة (١/ ٣٦٢).

وما قيل من أن الأنعام هاهنا بمعنى النعم؛ لأن الألف واللام تلحق الآحاد بالجمع، وفى إلحاق الجمع بالآحاد حسن، لكن الكلام وقع فى التخصيص، والوجه ما ذكرت والله [تعالى] أعلم[1].

٢٦٨ ـ قوله: ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[2][٧٢]، وفى «العنكبوت»: ﴿يَكْفُرُونَ﴾[٦٧] بغير ﴿هم﴾؛ لأنه فى هذه الآية اتصل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[٧٢]، ثم عاد إلى الغيبة، فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٧٢]، فلابد من تقييده بهم؛ لئلا تلتبس الغيبة بالخطاب والتاء بالياء.

وما فى «العنكبوت» اتصل بآيات استمرت على الغيبة فيها كلها، فلم يحتج إلى تقييده بالضمير.

٢٦٩ ـ قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ[3] ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4][١١٩]، كرر (إن)، وكذلك فى الآية الأخرى: ﴿ثم إن ربك﴾؛ لأن الكلام لما طال بصلته أعاد إن واسمها وثم، وذكر الخبر، ومثله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] أعاد إن واسمها لما طال الكلام.

٢٧٠ ـ قوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا﴾[5][١٢٧]، وفى «النمل»: ﴿وَلَا تَكُن﴾[٧٠] بإثبات النون، هذه الكلمة كثر دورها فى الكلام، فحذف النون منها تخفيفًا من غير قياس، بل تشبيهًا بحروف العلة، ويأتى ذلك فى القرآن فى بضعة عشر موضعًا[6]، تسعة منها بالتاء، وثمانية بالياء، وموضعان

(١) النووى (ص ٢٦٨) مسألة رقم (٢٣٠).

(٢) راجع تفسير زاد المسير لابن الجوزى (٤/ ٤٧٠)، ومختصر ابن كثير (٢/ ٣٣٨)، وتفسير الطبرى (١٤/ ١٠٠)، وانظر النووى ص ٢٦٩ مسألة (٢٣٣)، والفتح (ص ٢٢٢) مسألة (١٦).

(٣) فى المطبوعة (بجهلة)، وهذا خطأ تحريف من الطابعين.

(٤) الفتح (ص ٢٢٧) مسألة رقم (٢٧).

(٥) فتح الرحمن (ص ٢٢٧) مسألة رقم (٢٩).

(٦) وردت فى بعض النسخ وفى المطبوعة (بضع عشرة موضعًا)، وهذا خطأ، لأن الموضع (مذكر) وهو المعدود فيكون لذلك الصواب كما أوردنا (بضعة عشر موضعًا)، وليس غيره.

بالنون، وموضع بالهمزة؛ وخصت هذه السورة بالحذف دون «النمل» موافقة لما قبلها، وهو قوله: ﴿**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[١٢٠].

والثانى: إن هذه الآية نزلت تسلية للنبى ﷺ حين قُتل عمه حمزة[١]، ومُثل به، فقال ﷺ: «لأفعلن بهم ولأصنعن»، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [١٢٦، ١٢٧]؛ فبالغ فى الحذف؛ ليكون ذلك مبالغة فى التسلى، وجاء فى «النمل» على القياس؛ ولأن الحزن هنا دون الحزن هناك.

(١) أسباب النزول للسيوطى (ص ١٢٧)، والواحدى (ص ٢٣٤) وما بعدها.

obeikandl.com